الرسوم الصخرية في وادي الجفر بسلطنة عمان
الدلالة والمعنى

ناصرسعيدالجهوري و علي التجاني الماحي

ملخّص: تتناول هذه الورقة الرسوم الصخرية المكتشفة في وادي الجفر بمنطقة جعلان بني بوحسن، في الجزء الشرقي من سلطنة عمان. التشخيص الأولي لهذه الرسوم الصخرية جعلنا نتساءل عن دور البعد الجغرافي للرسومات الصخرية وأهميته، وهل هذا البعد كتوزيع للرسوم، ومواضع مختارة لها يحمل فلسفة وغاية قصدها ذلك المجتمع منذ آلاف السنين؟ من هنا، تحاول الورقة التعامل مع هذه الرسوم بشكل مغاير عن محاولات تشخيص سابقة في العمل الأثري، إذ تسعى للنظر لهذه الرسوم الصخرية في إطار الإقليمية، والدور الذي يمكن أن تلعبه مثل هذه الرسوم في حياة مجتمع وادي الجفر. إن أبرز سمات الرسوم الصخرية في وادي الجفر، وأكثرها تكراراً، هي رسوم القدم واليد والإنسان، والرجل الذي يمتطي الخيل. وتبين بعد التشخيص أن الرسوم الصخرية في هذا الوادي، جاءت لتخدم غرضاً يصب في تحديد الوادي، كإقليم بسطت عليه سيادة سكانه. ولا بد من أن هنالك حاجة، لتثبيت السيادة على هذا الإقليم وتأكيدها، وإعلان حدوده تحذيراً وتنبيهاً لملكيته وإعلان خصوصيته. وهذا الإعلان عن حدود الإقليم، بغية حصر موارده الطبيعية واحتكارها على سكان الوادي. كما عملت الرسوم الصخرية في الوادي على إبراز رمزية القيم الإنسانية والثقافية ومدلولاتها، وذلك برسم اليد والقدم، ورسوم الرجل يمتطي الحصان على امتداد الوادي، وهذا توظيف للفن لتحديد الحدود والملكية والسيادة والهوية.

Abstract: *This paper presents the petroglyphs discovered in Wadi al-Jifr in the area of Ja'alan Bani Bu Hasan, located at the eastern part of Oman. The Study of these petroglyphs has raised a number of questions concerning the role and distribution of the geographical dimension of petroglyphs, and to what extent it presents the aim and philosophy of the people who made them thousands years ago. Thus, this paper deals with these petroglyphs in a different way from previous investigation attempts. The paper considers territoriality in its inquiry. The most distinguished and frequent figures represented in Wadi al-Jifr petroglyphs are hands, foot and a man riding a horse. This study suggests that these petroglyphs were made in order to define the wadi territoriality that was controlled by its inhabitants. There must had been a need to sustain the domination and control over this wadi, and announcing the ownership and privacy of its boundaries. This territoriality announcement is to control natural resources of the wadi. Furthermore, the wadi petroglyphs emphasized the human and cultural values symbolism by drawing hands and foot as well as a man riding a horse, which is an art appointment to define boundaries, ownership, domination and identity-*

المقدمة

كشف المسح الآثاري خلال عام ٢٠١٠م في منطقة وادي الجفر في الجزء الغربي من إقليم جعلان بسلطنة عمان؛ عن رسوم صخرية منتشرة على امتداد هذا الوادي. والفحص الأولي لهذه الرسوم الصخرية من وادي الجفر، أدخلنا في حيرة علمية تفرضها تساؤلات مشروعة؛ تدور حول دور البعد الجغرافي للرسومات الصخرية وأهميته؟ وهل البعد الجغرافي كتوزيع للرسوم، ومواضع مختارة لها يحمل فلسفة وغاية قصدها ذلك المجتمع منذ آلاف السنين؟ وهل تُعد هذه الرسوم توثيقاً ميكانيكياً للبعد الجغرافي؟ وهل وظَّف الإنسان فن الرسوم الصخرية من أجل تحقيق جانب من ديناميكية البقاء، أي البقاء كغريزة لها القوة المحركة لأدوات البقاء المتعددة التي خلقها الله في مخلوقاته؛ وذلك مثل التكيّف وغيره؟ ومن هذا المنطلق يأتي موضوع هذا البحث الذي عمل على دراسة الرسوم الصخرية المكتشفة في وادي الجفر وتشخيصها.

العدد السابع والعشرون - صفر ١٤٣٤هـ - يناير ٢٠١٣م
(ص ص ٢٩-٤٨) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

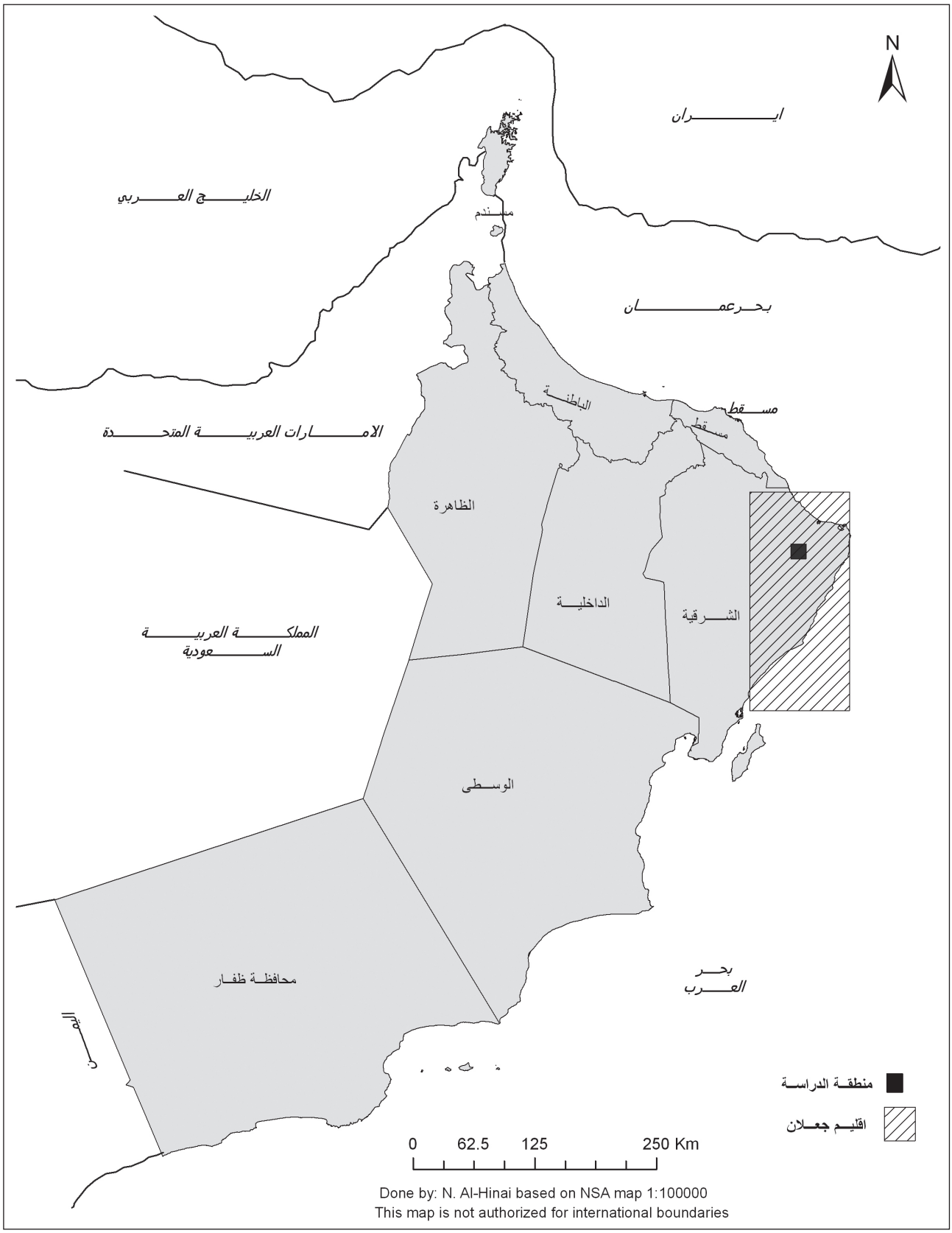

الخريطة ١: خريطة عامة توضح موقع وادي الجفر (المربع الأسود في الرسم) في الجزء الغربي من إقليم جعلان.

الرسوم الصخرية واحدة من الدلالات التي يتركها الإنسان عن قصد، وما من شك، في أنها دلالات، قد قام الإنسان بعملها وتركها قاصداً، ذلك، ولأسباب، كثيراً ما اجتهد الباحثون في هذا المضمار في تفسيرها. ورغم جهد الباحثين في الرسوم الأثرية، تبقى حقيقة لا يمكن تغاضيها أو تجاهلها، وهي أن الرسوم الصخرية دلالات لمجتمع نجهل عنه أكثر مما نعلم. والأعظم في ما نجهله، نظرة ذلك المجتمع قديماً لهذا الفن، وغاياته. وعلى الرغم من ذلك، تبقى حقيقة جلية وهى أن الإنسان قد وظَّف الفن تحقيقاً لأسباب مختلفة؛ تتباين من مجتمع لآخر، ومن رسم لرسم آخر؛ فالإنسان مسعاه أولاً وأخيراً، هو تحقيق بقائه، بتحقيق مجموعة من المعطيات المرتبطة بمعاشه، ومعتقداته، وأمنه، وحركته واستقراره، وثقافته واقتصاده.. إلخ. ومن هنا، وقياساً بالحاضر المعاصر، يمكن القول إن الإنسان قد وظَّف الفن لأغراض مختلفة ومتعددة، لا تخص الفن كفكر ورؤية وفلسفة؛ فالفن كما قال بنجامين كونستانت (Constant 2003:100:19)، لا يحقق غاية تخصه. ومن هذا المنطلق، يدرس ويحلل ويشخص هذا البحث الرسوم الصخرية في وادي الجفر. أي أن الرسوم الصخرية في هذا الوادي غايتها توظيف للفن، لتحقيق غاية معينة، قصد الفنان تحقيقها في ذلك الزمان.

وانطلاقاً من هذا المفهوم، يكون التعامل مع هذه الرسوم الصخرية في هذا البحث، مغايراً عن محاولات تشخيص سابقة في العمل الأثري، إذ يسعى هذا البحث للنظر لهذه الرسوم الصخرية في إطار الإقليمية Territoriality والعلاقة بينها وبين الرسوم الصخرية، إن كانت هناك علاقة بالطبع. والبحث سوف يفحص هذه العلاقة والدورالذي يمكن أن تلعبه مثل هذه الرسوم في حياة مجتمع وادي جفر.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل عرض الرسوم الصخرية ومناقشتها، يتطلب الأمر منا أن نعرض بعض التفاصيل التي تؤسس للمشاهد الجغرافية والجيولوجية والأثرية لمنطقة وادي الجفر. وتبرز الشواهد الأثرية – التي تم الكشف عنها أثناء المسح الأثري خلال عام ٢٠١٠م- تاريخ وقدم النشاط الإنساني في ذلك الحيّز الجغرافي في الإقليم الشرقي من عمان.

الشكل ١: مدخل وضفاف وادي الجفر وتكويناته الجيولوجية.

الجيولوجية والبيئة

يقع وادي الجفر (N 2448426.427; E 743532.335) في الجهة الشمالية الشرقية من ولاية جعلان بني بو حسن (خطي عرض ٢٢o٠٠' و٢٢o٣٠' شمالاً، وخطي طول ٥٩o٠٠ و٥٩o٣٠' شرقاً) (الخريطة ١)، ويعد واحداً من بين عدد كبير من الأودية التي تنتشر بالولاية، أهمها وأكبرها وادي البطحاء الذي يمر بعدد من القرى والمناطق، وقد شكلت هذه الأودية وتفرعاتها الأساس في الاستيطان عبر الزمن في هذا الجزء من شبه الجزيرة العمانية، نظراً لما تقدمه من مصادر طبيعية كالمياه الجوفية والسطحية وشبه السطحية، والتربة الخصبة، والنباتات، والحيوانات البرية. ويعد وادي الجفر (الشكل ١) جزءاً من سلسلة جبل قهوان، الذي هو جزء من سلسلة جبل جعلان، حيث تصب المياه في هذا الوادي بعد قدومها من منابعها في أعالي هذا الجبل، وتجري في مجموعة من الأخاديد المائية لمسافات، إلى أن تصل إلى نقطة التقاء واحدة تصب في مجرى الوادي الرئيس، متجهة جنوباً لتصب في عدد من المناطق السهلية والحصوية مثل: الجلت، والغملول، ومصلى المشايخ.

وتعد سلسلة جبل قهوان المعلم الجيولوجي المميز للمنطقة؛ نظراً لحجمه ووفرة البيئتين الحيوية وغير الحيوية اللتين أسهمتا في جعله محمية طبيعية. يضم هذا الجبل أنواعاً مختلفة من النباتات البرية التي لعبت -ولا تزال- دورا مهماً في الحياة الفطرية في المنطقة، إضافة إلى دورها المهم في اقتصادات المجتمعات التي استقرت

فيها، وهي تستخدم إلى اليوم كطعام وكدواء. ولعل من بين أهم الأشجار: السمر، والغاف، والسدر، والسرح، واللثب، والقطف، والقفص، واللقم، والـراك، والقتفر، والشوع، والـغـلاس، والسلم، والـعـوس، والمغل، والعنج، والشرحم، والعيطيف، والـقـصـداو، ومـرعـلة، والـضـال، والحـاروق، والقتل، وسـومـر، وملحلاح. كما يضم الجبل الحيوانات البرية لاسيما: الوعل، والغزال، والثعلب، والنمر، والنسر، والضب، والأفاعي، وغيرها من الحيوانات الصغيرة سريعة العدو: كالأرنب البري[1]. وهذا التنوع الحيوي وغير الحيوي للجبل جعل من حكومة سلطنة عمان تسعى إلى تحويله إلى محمية طبيعية.

ويشير الدليل الأثري إلى أن سلسلة جبل قهوان تتوافر فيها الحجارة المناسبة التي استغلها الإنسان عبر الزمن كمادة بناء (كما هو الحال مثلاً في عشرات الآلاف من مدافن حفيت الركامية وخلايا النحل المنتشرة في كل المنطقة المجاورة). تشير الدراسات المختلفة (Roger et al. 1991)، إضافة إلى الملاحظة الميدانية، إلى أن هذه السلسلة تضم مجموعة من التركيبات الجيولوجية (مثلاً Tertiary–Maastrichtian و Hawasina Nappesو Crystalline Basements) والتي قدمت أنواعاً مختلفة من الحجارة كالحجر الجيري، والكلورايت، والديورايت، والكوارتز، والجابرو، والصوان، وغيرها. هذه الحجارة استغلها الإنسان ليس فقط في صناعة أدواته، والتي عثر عليها أثناء المسح في المنطقة المجاورة لوادي الجفر (أدوات صوانية، وأواني الحجر الصابوني)، وكمادة للبناء (القبور والمساكن)، بل كذلك في تنفيذ الرسومات الصخرية. ومن المهم الإشارة إلى أن الحجارة التي صنعت منها الأدوات المستخدمة في عملية تشكيل هذه الرسوم ربما جاءت من الموقع نفسه.

والمنطقة المجاورة له. تبين من خلال المشاهدة الميدانية أن وادي الجفر يحتوي على كمية وافرة من المادة الخام المستخدمة في تشكيل الرسوم، كما هو الحال بالنسبة لحجارة الحجر الجيري والجابرو. عثر بالقرب من الصخور التي نفذت عليها الرسومات، والمنطقة المجاورة لها، على بعض الحجارة الطبيعية المناسبة للاستخدام كمطارق أو مدقات حجرية، يأخذ بعضها الشكل الهرمي الطولي وبالتالي فهي مناسبة للنقر والطرق. ولكن يجب أن نشير إلى أن هذه الحجارة لم تظهر لنا أي تغييرات حدثت على سطوحها، وبالتالي من الصعب الجزم بكل تأكيد بأنها استخدمت في عملية تشكيل الرسوم.

إضافة إلى الأودية فإن جعلان بني بوحسن تضم عدداً كبيراً من السهول الحصوية والغرينية التي تمتد على طول الأودية وضفافها ومصاطبها، ولعل من أهمها الغملول، والمعمور، وأم البقر، وغيرها الكثير والتي تغذيها مياه الأودية ومنها وادي الجفر. ومن الملامح الطبوغرافية الأخرى في جعلان الكثبان الرملية والتي هي جزء من رمال الوهيبة (حالياً رمال الشرقية)، حيث تقع هذه الكثبان في الجهتين الجنوبية والغربية من جعلان وعلى مسافة نحو ١٠ كم عن وادي الجفر.

أما عن المناخ في جعلان بني بو حسن، فهو بشكل عام يتميز بالجفاف حيث معدلات سقوط الأمطار قليلة (يصل إلى أقل من ١٠٠ مم في العام) وغير منتظمة، وتكون عادة في فصل الشتاء، ودرجات الحرارة مرتفعة وبشكل خاص في فصل الصيف (Giraud 2009: 2).

ومن الجدير بالملاحظة، أن منطقة الرسومات الصخرية في وادي الجفر حاليا غير مأهولة بالسكان، كما كان عليه الحال في السابق، حيث كشف المسح الأثري عن وجود عدد من بقايا المساكن المبنية من أساسات حجرية ومواد عضوية (الخشب وأعواد الأشجار والقماش)، وهي قابلة للتحلل عبر الزمن، إضافة إلى الملاجئ الصخرية التي تم توظيفها كأماكن مؤقتة لإقامة المجموعات الرعوية المتنقلة. ولكن المعلومات الأثنوغرافية والأثرية (فخار الفترات الإسلامية الحديثة كالبورسلين والسيلادون وفخار بهلاء) تشير إلى أن وادي الجفر تم استيطانه إلى فترات حديثه إلى أن انتقل سكانه إلى منطقة البلاد (أي مركز جعلان بني بوحسن)، ولا تزال المجموعات الرعوية تستخدم الوادي كمرعى لحيواناتها، وتقوم باستغلال الملاجئ الصخرية (اتصال شخصي مع الفاضل سالم بن ناصر المشرفي، وملاحظة ميدانية).

الشواهد الأثرية

في زيارة سريعة لوادي الجفر عام ٢٠٠٢م تم الكشف

عن معلومات مهمة عن تاريخ استيطان وادي الجفر والمنطقة المحيطة به. ساعدت هذه الزيارة على معرفة حدود الموقع الأثري وتوزيع الشواهد الأثرية فيه، ومن ثَم ساعد على وضع منهجية للمسح الأثري المنظّم، الذي أجري في يناير ٢٠١٠م للوادي والمحيط الخاص به، لتوثيق الشواهد الأثرية المختلفة، بما فيها الرسوم الصخرية المنتشرة على امتداد ضفاف الوادي. كما سمحت لنا أيضا بالتعرف على طوبرغرافية المنطقة والتشكيل والتكوين التضاريسي الخاص بها، وبمن ثَم التعرف على واقع الآثار في المنطقة، والعوامل التي قد تؤدي إلى تدهورها.

من الجدير بالإشارة هنا إلى أن آثار هذا الوادي في هذا الجزء من إقليم جعلان لم تلق نصيباً مناسباً من المسح والتوثيق، كما أن الشواهد الأثرية في المنطقة تقع تحت تأثير وتهديد عوامل التعرية والتجوية الناتجة عن فيضان الأودية والأمطار والرياح وغيرها من الظروف البيئية، وهذا ما تم ملاحظته أثناء أعمال المسح الأثري التي أجريت على الوادي عامي ٢٠٠٢ م و٢٠١٠م، إذ تعرضت بعض الصخور التي تحمل رسوماً إلى نحت وتعرية لدرجة يصعب معها أحياناً التعرف على الشكل الأصلي للرسمة. ومن هنا، كان من المهم توثيق هذه الشواهد الأثرية وتسجيلها، قبل تدميرها.

تم إجراء المسح مشياً على الأقدام بدءاً من مدخل الوادي جنوبا باتجاه الأخاديد (محلياً الشواغي) التي- كما أشرنا مسبقاً- تجري فيها المياه من الشمال، من أعالي سلسلة جبل قهوان. جرى توثيق ٦٣ صخرة تضم رسومات صخرية، وقد سُجلت كل صخرة تحمل رسماً أو رسومات، وأعطيت رمزاً ورقماً (مثال: W. J 1. R1)، إذ يرمز الحرفان W. J لوادي الجفر متبوعاً برقم المنطقة، ثم رقم الصخرة والتي يرمز لها بالحرف R. ومن ثم وصف محتوى كل صخرة (طريقة النقش، الأشكال، نوع الحجارة، موقعها بالنسبة للوادي، لونها...إلخ). كما جرى تصوير الأشكال المنفذة على كل صخرة ورسمها، وكذلك توثيق إحداثياتها عن طريق الجي بي إس (GPS)، ما ساعد على رسم خريطة توضح انتشار وتوزيع وكثافة الرسوم في الوادي. وجرى بعد ذلك توثيق الشواهد الأثرية الأخرى (كبقايا المساكن) في الوادي لمعرفة مدى قربها من

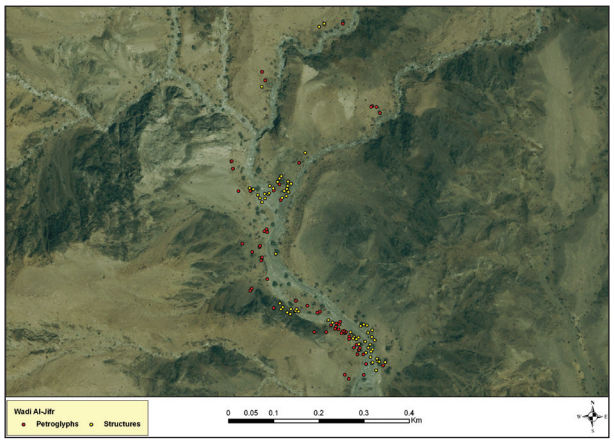

الشكل ٢: توزيع الرسومات الصخرية في وادي الجفر وبقايا المباني المكتشفة بالقرب منها.

الشكل ٣: بقايا أحد المباني الحجرية التي تم الكشف عنها بالقرب من الرسومات الصخرية بوادي الجفر.

هذه الرسوم والعلاقة بينها (الشكل ٢).

كشفت نتائج المسح الأثري عن عديد من الشواهد الأثرية، المتمثلة في عدد كبير من الرسوم الصخرية- موضوع هذه البحث- وهي تمتد على طول ضفاف الوادي؛ بدءاً من مدخل الوادي المتسع، إلى منابع الشلالات المائية القادمة من أعالي سلسلة جبل قهوان، التي تلتقي في نقطة واحدة، وتصب جميعها في مسار وادي الجفر، وتتجه جنوبا. كما عُثر على عدد من بقايا مباني حجرية أو أن أساساتها كانت حجرية ثم أكمل البناء بمواد عضوية قابلة للتلف (الشكل: ٣)، وهي تشير إلى استيطان على طول ضفاف الوادي وبخاصة في بداية الوادي، إضافة إلى استغلال لبعض التجاويف الصخرية كملاجئ صخرية، عن طريق بناء جدار حجري في الجهة المفتوحة من التجويف

الشكل ٤: أحد الملاجئ الصخرية التي استغلها إنسان وادي الجفر مأوىً له ولحيواناته.

الشكل ٥: أحد القبور التي عثر عليها في وادي الجفر.

(الشكل: ٤). ويلاحظ على هذه الشواهد الأثرية (الرسوم الصخرية وأيضا بقايا المباني والملاجئ الصخرية) أنها تتركز في الضفاف الشمالية والشمالية الشرقية من الوادي، وذلك بحكم طبيعة المنطقة المنبسطة والمسطحة؛ فهي تمثل مصطبة حصوية تشكلت عبر الزمن بفعل عوامل التعرية، وتوافرت فيها حجارة الوادي الملساء (الجابرو)، استُخدمت للبناء، ولتنفيذ الرسوم الصخرية. كما لوحظ أيضاً وجود عدد من قبور فترة حفيت الركامية، وذلك على الهضاب الصخرية التي تحيط بالوادي، وبخاصة تلك التي تقع عند مدخل الوادي في الجهة الجنوبية. والهضاب الصخرية التي تبعد عن مدخل الوادي لمسافة ليست بالبعيدة، إضافة إلى بعض القبور الإسلامية على مصاطب أحد الهضاب الصخرية المحيطة بالوادي في الجهة الشمالية (الشكل: ٥).

من أجل تنظيم المعلومات المتعلقة بالرسوم الصخرية التي تم توثيقها في وادي الجفر، وتسهيل مهمة تحليلها وتفسيرها، فقد تم تأسيس قاعدة بيانات تضم كل ما له علاقة بهذه الرسوم (مثال: رقم التسجيل في قاعدة البيانات، المنطقة، رمز الموقع أو الصخرة، تاريخ التسجيل، الارتفاع عن مستوى سطح البحر، الإحداثيات، وصف الصخرة من حيث الرسومات والأبعاد، وأي ملاحظات أخرى) (الشكل: ٦). ساعدت قاعدة البيانات على استخراج بعض البيانات الإحصائية المتعلقة بنوع زخارف الرسومات الصخرية وعددها ونسبتها الإجمالية، وسيتم استعراضها والاعتماد عليها في تفسير الدليل الأثري في هذا البحث.

التسلسل الزمني للاستيطان

معلوماتنا عن تاريخ الاستيطان في وادي الجفر قليلة جداً، ومعتمدة في المقام الأول على الرسوم الصخرية التي يتميز بها هذا الوادي، وكما هو معلوم، أن تأريخ الرسوم الصخرية يعد أحد أكبر الصعوبات التي تواجه علماء الآثار، وبخاصة إذا لم تكن مترافقة مع كتابات تساعد على التأريخ. أما عن الشواهد الأثرية الأخرى الموجودة في الوادي، فهي بقايا أساسات حجرية لمباني ربما جدرانها من مواد قابلة للتلف، كأغصان الأشجار أو الخيام والتي لا تبقى في المحتوى الأثري. وتنتشر هذه البقايا على ضفاف الوادي الشمالية والشمالية الشرقية بالقرب من الرسوم الصخرية، عند مدخل الوادي في الجهة الجنوبية. ولم تقدم هذه البقايا دليلا أثرياً على التأريخ باستثناء القليل من الكسر الفخارية من الفترات الإسلامية المتأخرة (١٣٠٠-١٨٠٠م) مثل فخار جلفار وبهلا، والحديثة (١٨٠٠ إلى الآن) مثل

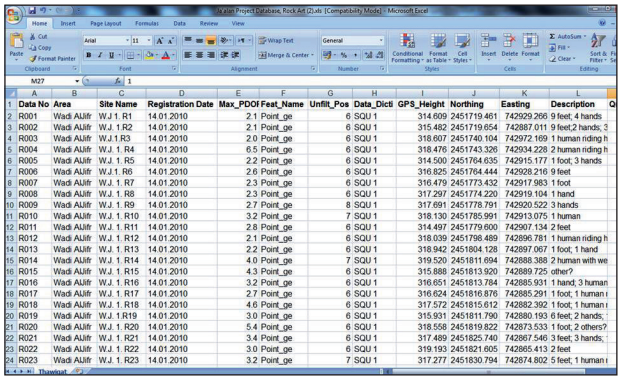

Data No	Area	Site Name	Registration Date	Max_PDOI	Feat_Name	Unfilt_Pos	Data_Dict	GPS_Height	Northing	Easting	Description
R001	Wadi Alfir	WJ.1.R1	14.01.2010	2.1	Point_ge	6	SQU 1	314.609	2451719.461	742929.266	9 feet; 4 hands
R002	Wadi Alfir	WJ.1.R2	14.01.2010	2.1	Point_ge	6	SQU 1	315.482	2451719.654	742887.011	9 feet;2 hands; 3
R003	Wadi Alfir	WJ.1.R3	14.01.2010	2.0	Point_ge	6	SQU 1	318.607	2451740.104	742972.169	1 human riding h
R004	Wadi Alfir	WJ.1.R4	14.01.2010	6.5	Point_ge	6	SQU 1	318.476	2451743.326	742934.226	2 human riding h
R005	Wadi Alfir	WJ.1.R5	14.01.2010	2.2	Point_ge	6	SQU 1	314.500	2451764.635	742915.177	1 foot; 3 hands
R006	Wadi Alfir	WJ.1.R6	14.01.2010	2.6	Point_ge	6	SQU 1	316.825	2451764.444	742928.216	9 feet
R007	Wadi Alfir	WJ.1.R7	14.01.2010	2.3	Point_ge	6	SQU 1	316.479	2451773.432	742917.983	1 foot
R008	Wadi Alfir	WJ.1.R8	14.01.2010	2.3	Point_ge	6	SQU 1	317.297	2451774.220	742919.104	1 hand
R009	Wadi Alfir	WJ.1.R9	14.01.2010	2.7	Point_ge	8	SQU 1	317.691	2451778.791	742920.522	3 hands
R010	Wadi Alfir	WJ.1.R10	14.01.2010	3.2	Point_ge	7	SQU 1	318.130	2451785.991	742913.075	1 human
R011	Wadi Alfir	WJ.1.R11	14.01.2010	2.8	Point_ge	6	SQU 1	314.497	2451779.600	742907.134	2 feet
R012	Wadi Alfir	WJ.1.R12	14.01.2010	2.1	Point_ge	6	SQU 1	318.039	2451798.489	742896.781	1 human riding h
R013	Wadi Alfir	WJ.1.R13	14.01.2010	2.2	Point_ge	6	SQU 1	318.942	2451804.128	742897.067	1 foot; 1 hand
R014	Wadi Alfir	WJ.1.R14	14.01.2010	4.0	Point_ge	7	SQU 1	319.520	2451811.694	742888.388	2 human with we
R015	Wadi Alfir	WJ.1.R15	14.01.2010	4.3	Point_ge	6	SQU 1	315.888	2451813.920	742889.725	other?
R016	Wadi Alfir	WJ.1.R16	14.01.2010	3.2	Point_ge	6	SQU 1	316.651	2451813.784	742885.931	1 hand; 3 human
R017	Wadi Alfir	WJ.1.R17	14.01.2010	2.7	Point_ge	6	SQU 1	316.624	2451816.876	742885.291	1 foot; 1 human r
R018	Wadi Alfir	WJ.1.R18	14.01.2010	4.6	Point_ge	6	SQU 1	317.572	2451815.612	742882.392	1 foot; 1 human r
R019	Wadi Alfir	WJ.1.R19	14.01.2010	3.0	Point_ge	6	SQU 1	315.931	2451811.790	742880.193	6 feet; 2 hands;
R020	Wadi Alfir	WJ.1.R20	14.01.2010	5.4	Point_ge	6	SQU 1	318.558	2451819.822	742873.533	1 foot; 2 others?
R021	Wadi Alfir	WJ.1.R21	14.01.2010	3.4	Point_ge	6	SQU 1	317.489	2451825.740	742867.546	3 feet; 3 hands;
R022	Wadi Alfir	WJ.1.R22	14.01.2010	3.0	Point_ge	6	SQU 1	319.193	2451821.605	742865.413	2 feet
R023	Wadi Alfir	WJ.1.R23	14.01.2010	3.2	Point_ge	7	SQU 1	317.277	2451830.794	742874.802	5 feet; 1 human r

الشكل ٦: الشكل العام لقاعدة البيانات التي تم تصميمها للرسوم الصخرية من وادي الجفر

البورسلين والسيلادون. أما عن قبور فترة حفيت الركامية، التي سبقت الإشارة إليها، فهي لا توجد بالقرب من الرسوم الصخرية، ولكن على قمم بعض الهضاب القريبة من وادي الجفر. ومن هنا، لا نستطيع أن نعطي تأريخاً دقيقا للاستيطان في وادي الجفر، ولكن الدليل المتوافر ربما يشير إلى استيطان للمنطقة منذ فترة حفيت، على الأقل، (نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد)، وكذلك في الفترات الإسلامية المتأخرة والحديثة.

تأريخ الرسوم الصخرية من وادي الجفر لن يقتصر فقط على اللقى التي عُثر عليها بالقرب منها وقبور فترة حفيت، إلا أن هذه الورقة ستحاول البحث عن طريقة أخرى لتأريخها. ولعل من بين هذه الطرق مثلاً التحليل المقارن؛ وذلك عن طريق مقارنة الزخارف المتشابهة والخصائص التي توجد في لقى أثرية أخرى قابلة للتأريخ، عثر عليها في مواقع مختلفة من شبه الجزيرة العمانية؛ ومنها مثلاً مقارنة رسومات الحصان من وادي الجفر، بالدليل الأثري المكتشف لمثل هذه الحيوانات؛ كالتماثيل والأشكال المصنوعة من الفخار والبرونز/النحاس، من مواقع أخرى في المنطقة أو المناطق المجاورة نفسها. ولكن لا بد من القول هنا أن تأريخ الفن الصخري من خلال اللقى المترافقة من المواقع المجاورة ليس بالضرورة أن يكون دقيقاً ومضموناً.

الرسوم الصخرية

كما أشرنا مسبقا فقد تم توثيق (٦٣) صخرة في وادي الجفر، تضم إما شكلاً واحداً أو مجموعة من الأشكال المختلفة. وجدنا الرسوم الصخرية في وادي الجفر، كثيرة ومتعددة الأركان، والأشكال، وهو أمر، دال على كثافة النشاط الفني، وتنوع مشاغله، واهتماماته. أما تنفيذ هذه الرسوم الصخرية، فقد اعتمد أسلوب الطَرق (knocking)، الذي يسهل تنفيذ الرسوم به في سطح حجارة يسهل الطرق فيها، كالحجر الجيري. وهذا النوع من الرسم يتطلب مهارة عالية، إذ إن الأمر ليس مجرد طرق السطح الصخري بواسطة صخرة، بل الرسم بهذا الأسلوب يتعدى بساطة شدة الطرق أو سهولته؛ فالرسم بواسطة الطرق، يقوم على مهارة الفنان في توجيه طَرَقاته، والسيطرة عليها، وهذه مهارة لا تأتي اعتباطاً، فلابد من ممارسة لها وتدريب على أساليبها ومهاراتها. وتعاطي الرسم بهذا الأسلوب يتطلب التحكم الجيد بالمنهج، بحيث تنتج عنه رسوماً يسهل معرفتها وفهم محتواها، ودالة عن ما يبتغيه الفنان منفذ تلك الرسوم الصخرية. وبالفعل، فإن الطبيعية الجيولوجية في نطاق مجرى وادي الجفر يكثر فيها الحجر الجيري limestone، الأمر الذي سهّل أسلوب منهج الطَرق في تنفيذ هذه الرسوم الصخرية.

وجغرافياً، نجد هذه الرسوم منتشرة على امتداد شقي وادي الجفر، بحيث تتركز بشكل أكثر في الشق الأيمن، كلما تقدمنا صوب الشمال الكوني (الشكل ٢). والطبيعية الجيولوجية في مجرى وادي الجفر، التي يسود فيها الحجر الجيري، قد تأثرت بديناميكية الحركة الميكانيكية والكيميائية للمياه في مجرى الوادي عبر الزمان. نتج من هذا التفاعل الميكانيكي والكيميائي (الماحي ٢٠٠٢) أن الطبيعة الصخرية في الوادي وعلى ضفافه، هي كتل صخرية مستقلة ومتناثرة عن بعضها، ومحدودة المساحة المسطحة. هذه الصخور اتخذها الفنان القديم في وادي الجفر، مساحة لفنه ورسوماته.

وتبقى ملاحظتان عن وادي الجفر، يمكن إبرازهما في أن المسح الأثري للوادي كشف عن وجود بقايا منازل في الضفة الشرقية من الوادي، وفي مساحة متسعة مقارنةً مع الضفة الغربية للوادي (الشكل ٢). وهذا وضع منطقي، إذ إن مساحة ضفاف الوادي الشرقية أكثر رحابه واتساعاً من تلك التي على الضفة الغربية للوادي. وعليه، فمن المنطقي أن يبني الإنسان مسكنه في الضفة الشرقية من الوادي. والملاحظة الثانية، تكمن في أن الرسوم الصخرية توجد في تدرج من أعلى نقطة في الشمال إلى أسفل نقطة في الجنوب على طول الوادي، أي تبدأ في الزيادة كلما اتجهنا جنوبا في المنطقة التي يتسع فيها الوادي، وهذا أمر آخر منطقي، إذ إن الإنسان لم يسكن الأجزاء العليا من الجبال.

والرسوم الصخرية في عمومها،تبقى عصيّة على من يسعى لفهم أسرارها ومعانيها، وقراءة الأخبار التي تحملها، ورغم هذه الصعوبة قام عدد من الآثاريين بتوثيق هذا الفن

الجدول ١: محتويات الرسوم الصخرية في وادي الجفر

الموقع	الوصف
W.J 1. R1	٩ أقدام؛ ٤ كفوف
W.J. 1.R2	٩ أقدام؛ كفين؛ ٣ بشر اثنان منها تحمل أسلحة؛ آخران
W.J.1.R3	بشري واحد يمتطي حصان
W.J. 1. R4	بشريان كل واحد يمتطي حصانا
W.J. 1. R5	قدم؛ ٣ كفوف
W.J.1. R6	٩ أقدام
W.J. 1. R7	قدم
W.J. 1. R8	كف
W.J. 1. R9	٣ كفوف
W.J. 1. R10	بشري واحد
W.J. 1. R11	قدمان
W.J. 1. R12	بشري واحد يمتطي حصان
W.J. 1. R13	قدم؛ كف
W.J. 1. R14	بشريان يحملان أسلحة أو مصائد؟ ويبدو أنه مشهد للصيد حيث يحمل أحدهما حبلا طويلا في نهايته أنشوطة ويحاول رميها أو لفها، بينما الآخر محاط بحبل على شكل دائرة؟؛ كف؛ ٣ أشكال أخرى
W.J. 1. R15	أشكال أخرى؟
W.J. 1. R16	كف؛ ٣ بشر؛ حصانين أو وعلين؟ ٢ أشكال أخرى؟
W.J. 1. R17	قدم؛ بشري واحد يمتطي حصان
W.J. 1. R18	قدم؛ بشري واحد يمتطي حصان
W.J. 1.R19	٦ أقدام؛ كفين؛ ١ أخرى؟
W.J. 1. R20	قدم؛ ٢ أخرى؟
W.J. 1. R21	٣ أقدام؛ ٣ كفوف؛ بشري واحد يمتطي حصان؛ ٢ أخرى؟
W.J. 1. R22	قدمان
W.J. 1. R23	٥ أقدام؛ بشري واحد يمتطي حصان؛ ٢ أخرى؟
W.J. 1. R24	قدمان؛ بشريان كل واحد يمتطي حصانا؛ ١ أخرى: مصيدة؟
W.J. 1. R25	قدمان؛ ١ أخرى: مصيدة؟
W.J. 1. R26	٣ أقدام؛ ٢ أخرى: مصائد أو أشعة شمس؟
W.J. 1. R27	قدم؛ كف؛ ٣ أخرى: مصائد أو أشعة الشمس؟
W.J. 1. R28	٩ أقدام
W.J. 1.R29	قدم
W.J. 1.R30	كف
W.J. 1. R31	قدمان؛ بشري واحد يمتطي حصان
W.J. 1. R32	بشريان كل واحد يمتطي حصانا أو جملا؟
W.J. 1. R33	كفان؛ أخرى: خطوط ودوائر ومصائد؟
W.J. 1. R34	كف واحد
W.J. 1. R35	٥ اقدام؛ ٦ كفوف
W.J. 1. R36	٣ أشكال بشرية كل واحد يمتطي حصانا؟
W.J. 1. R37	٥ اقداك؛ كف واحد
W.J. 1. R38	٤ أشكال بشرية إثنان منهم يمتطيان حصانا؟
W.J 1. R39	كف واحد؛ شكل بشري واحد يمتطي حصانا
W.J. 1. R40	شكل بشري واحد يمتطي حصانا
W.J. 1. R41	٥ أقدام؛ ١٨ كفا؛ حيوان واحد؟ ٦ أخرى
W.J. 1.R42	٣ أشكال بشرية
W.J. 1.R43	كف واحد
W.J. 1. R44	كف واحد؟
W.J. 1. R45	شكل بشري واحد يمتطي حصانا أو جملا؟
W.J. 1. R46	أخرى؟
W.J. 1. R47	شكل بشري واحد يمتطي جملا؟ (أفضل مثال صورة رقم ٠٢٢٢ و٠٢٢٣)
W.J. 2. R3	٥ أقدام؛ ٣ كفوف؛ ٢ أخرى؟
W.J. 2. R4	قدم واحدة
W.J. 2. R2	٣ أقدام؛ ٣ أشكال بشرية تمتطي جمالا؟ شكل بشري واحد يمتطي حصانا؛ حصان واحد
W.J. 2.R1	٩ أقدام؛ كفان؛ شكل بشري واحد يمتطي حصانا
W.J.2. R5	٣ أقدام
W.J. 2. R6	١١ قدما
W.J. 2. R7	قدم واحدة؛ شكلان بشريان
W.J. 2. R8	قدم واحدة؛ حيوان واحد ربما كلب أو وعل؟
W.J.3. R1	قدم واحدة
W.J. 3.R2	٣ أقدام
W.J. 5. R1	أخرى؟
W.J. 6. R1	كفان؛ شكل بشري واحد
W.J. 7. R1	شكل بشري واحد يمتطي حصانا
W.J. 7. R2	٢ أخرى؟
W.J. 7. R3	حيوان واحد بما كلب أو وعل؟
W.J. 7. R4	شكل بشري واحد يمتطي حصانا؛ كتابة عربية

الصخري، وهذه من دون شك محمده علمية لهم، إذ وثّقوا هذه الرسوم ومواقعها، وهذا بدوره سهّل على الباحثين الآخرين محاولة تفسيرها (الماحي أ ٢٠١٠؛ ElMahi 2000, 2001). وتظل إشكالات دراسة الرسوم الصخرية وتشخيصها عموماً، قائمة، في تحدٍ واضح لجميع محاولات فك رموزها، وقراءة محتواها، إضافة إلى أن العلم قد عجز حتى يومنا هذا عن ابتكار وسيلة علمية لتحقيق التأريخ المطلق Absolute dating لهذه الرسوم.

كشفت دراسة وتشخيص الرسوم الصخرية المنتشرة على طول وادي الجفر وعلى ضفتيه، إلى واقع فني يحتوي على رسوم للإنسان والحيوان، يشمل اليد والقدم، إضافة لأشكال لم نتمكن من تشخيصها (الأشكال ٧، ٨، ٩، ١٠). والملاحظ هنا أن هذه الأشكال التي رسمها منعزلة، وليست جزءاً من مشهد واحد. وهذه ملاحظة مهمة، إذ إن الفنان نفذ هذه الرسوم منفردة، وليست جزءاً من نشاط ممتد في حيز من الزمان أو المكان. وقد تم حصر جميع الرسوم الصخرية في الوادي، وتوثيق بياناتها في الجدول ١، والشكلين ١١ و١٢.

حيَّرتنا كثيراً هذه الرسوم الصخرية المنتشرة على امتداد وادي الجفر؛ فالرسوم كثيرة، وأشكالها متعددة ومتباينة. فتفحصناها، وأعدنا، وحقّقنا وبحثنا، فلم نجد في تفحصها ما يساعد على تبين موضوعاتها أو المستويات التي تتوزعها، ولا خصائص المنهج الذي سار عليه الفنان في إعداد هذه الرسوم أو الغرض الذي من أجله تم تنفيذ هذه الرسوم الصخرية. وإذا استعنا بمنهج "اللقطة الواحدة

الشكل ٧: صخرة تضم مجموعة من الرسومات ذات أشكال مختلفة.

الشكل ٨: صخرة تضم مجموعة من الرسومات ذات أشكال مختلفة.

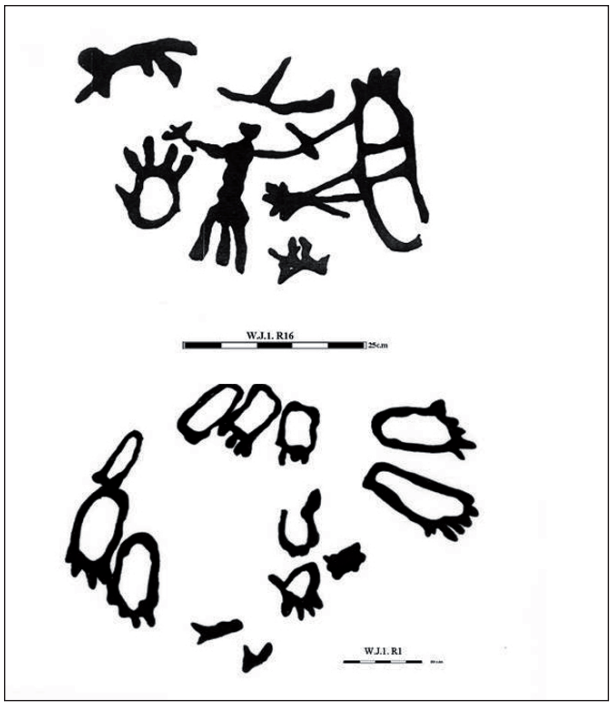

الشكل ٩: مجموعة من الرسومات ذات أشكال مختلفة.

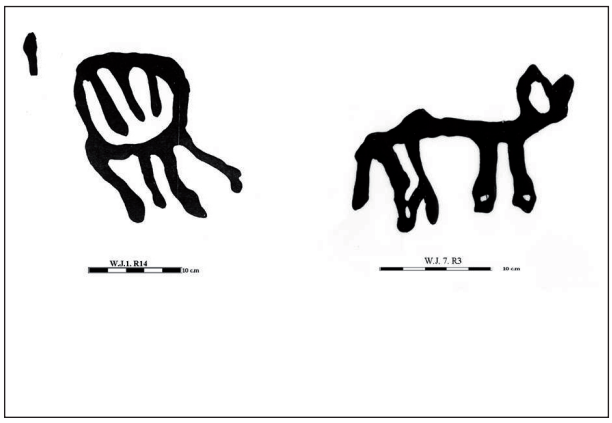

الشكل ١٠: مجموعة من الرسومات ذات أشكال مختلفة.

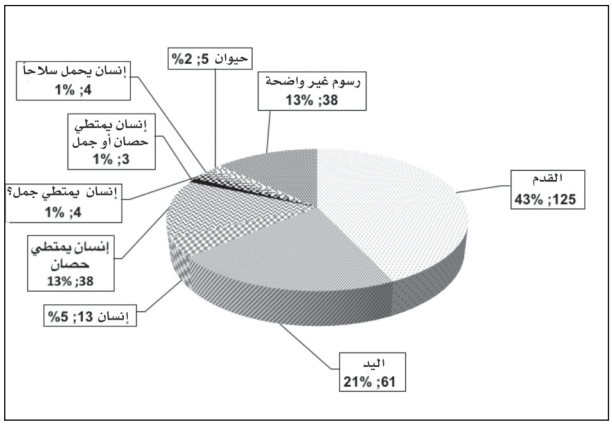

الشكل ١١: رسم بياني يوضح عدد ونسبة الرسوم الصخرية لليد والقدم مقارنة مع الأشكال الأخرى.

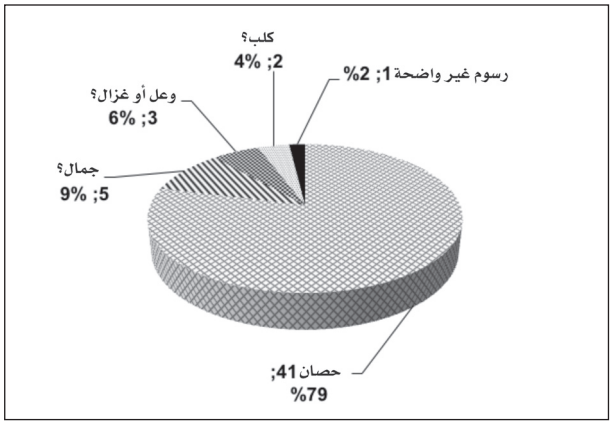

الشكل ١٢: رسم بياني يوضح عدد ونسبة الرسوم الصخرية للحيوانات المسجلة في وادي الجفر.

"The snap shot" الذي ينظر للرسم الصخري على أساس أنه لقطة واحدة من نشاط ممتد زمنيا وجغرافيا (الماحي ٢٠٠٠ أو ٢٠٠٠ ب وElMahi 2000 a and 2000b)، ازدادت حيرتنا ولم نجد معنىً مفيداً لهذه الرسوم. فسمات هذه الرسوم الصخرية هو انعزال كل رسم عن الرسم الآخر، ولا رابط بينهما. وتكثر فيها رسوم اليد والقدم البشرية، وتكثر كذلك فيها رسوم لا نملك، إلا أن نسميها رموزاً ثقافية. وكما هو معروف فإن الرموز الثقافية لها فكر، ومعنى وغرض ورسالة، وكل مجتمع إنساني له رموزه الخاصة بثقافته، ومعارفه، ومعتقداته. إلا أن خير من يقرأ هذه الرموز ويفك شفرتها، هو الملم بثقافة ذلك المجتمع القديم، أو الفنان الذي ترك لنا هذه الرموز، والتي من دون شك أنه كان يعتقد، بل يؤمن بأن كل من يقرؤها، سيفسر معناها ومغزاها، ولكن هيهات، لكل باحث في دراسة الرموز الثقافية مجسدة في رسوم صخرية، فالرموز الثقافية يصعب لأي باحث أن يقرأها أو أن يشخص معناها (الماحي ٢٠١٠ أ - ب).

المتفحص لرسوم وادي الجفر، يلحظ أنها رسوم مبهمة تفتقد الموضوعية، ومنعزلة عن بعضها بعضاً، ولا تشكل مشهداً لنشاط ممتد زمنياً أو جغرافياً. وخصائص منهجها الفكري غائب غير واضح. كما أن مستويات توزيعها غير واضحة. وفي ظل هذا الوضع، لا نملك إلا أن نبدل حيرتنا المشروعة في قراءة هذه الرسوم وتشخيصها إلى مجموعة من التساؤلات، ونبحث لها عن إجابات معقولة. ولكن قبل أن نشرع في ذلك، علينا أن نتفحص أهمية بعض الأشكال التي تواترت في الرسوم بشكل جلى (اليد والقدم)، ثم نعرف الإقليم والسلوك الإقليمي، ونحدد دوره في المجتمع الإنساني.

تجدر الإشارة إلى أن أنواع الأشكال التي نفذت على الرسومات الصخرية في وادي الجفر ليست كثيرة ومحصورة - كما هو واضح في الشكل رقم (١١) - في اليد والقدم والفارس والحصان والشكل البشري وأشكال أخرى أقل من حيث الكثافة، مثل بعض الحيوانات غير محددة الملامح، وأشكال ربما تكون رموزاً معينة. ونظراً لهذا التنوع القليل فإن تصنيف الأشكال من وادي الجفر لا يتطلب ذلك التعقيد، ما سهّل عملية استعراضها وإحصائها وتفسيرها في هذا البحث؛ فالتصنيف المتبع في تحديد زخارف الرسوم الصخرية في وادي الجفر سمح بدراسة التكرارات ومواقع (أي الصخور) وجودها على طول الوادي. ويتضح من خلال دراسة الزخارف أن هناك أنواعا منها يتكرر بشكل كبير (اليد والقدم) وبعضها الآخر يكاد لا يذكر كما هو الحال بالنسبة لبعض الرموز الثقافية. إن الملاحظة الميدانية للصخور التي تم تنفيذ الرسوم عليها توضح تبايناً طفيفاً في لون وحجم وتركيب هذه الصخور. فمن حيث اللون فهي عادة ما تأخذ اللون الرمادي الباهت أو درجات اللون البني والبني المصفر، أما حجم الصخور فيتباين ما بين الصغير والمتوسط (وهي الأكثر وجوداً) والكبير، وعادة ما تكون سطوحها مستوية وملساء- مع وجود بعض السطوح الخشنة قليلاً- ما سهل عملية تنفيذ الرسومات.

اليد والقدم البشرية (الأشكال ١٣، ١٤، ١٥)

رسوم اليد والقدم البشرية تحتل حيزاً جلياً في سجل الرسوم الصخرية. فقد وضح أن هذه الرسوم (اليد والقدم البشرية) منتشرة على امتداد جغرافي عالمي واسع وكبير. فقد عثر على رسوم لليد والقدم البشرية على اتساع جميع القارات بما في ذلك أمريكا الشمالية، واستراليا، وإسبانيا، وفرنسا، والأرجنتين. أما في الجزيرة العربية، فقد عثر على هذه الرسوم في رقعة جغرافية كبيرة تشمل كلاً من عُمان وقطر والمملكة العربية السعودية واليمن. وفي إفريقيا، عثر عليها في السودان والجزائر وتشاد والصحراء الكبرى. المراجع الآتية تدلل على انتشار هذه الرسوم الصخرية في بعدها الجغرافي الكبير الذي اشرنا إليه:

(Wright 1985; Hawkins 1987; Kabawi et al. 1990; Jung 1993; Abdul Nayemm 1996; Gunn 2007; Achrati 2003, 2008; Khan 2008)

هذا الجزء يقارن الرسوم الصخرية في وادي الجفر مع تلك المكتشفة في مواقع الفن الصخري الباقية في

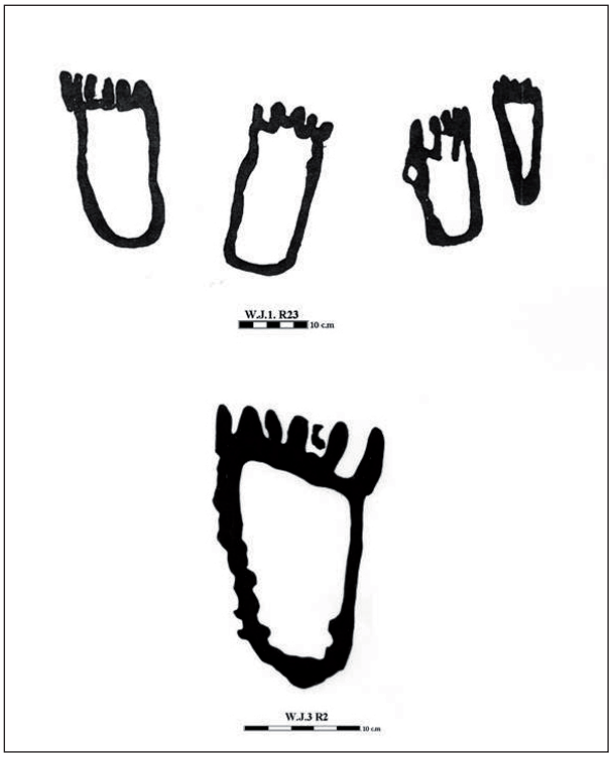

الشكل ١٣: رسوم للكف والقدم من وادي الجفر.

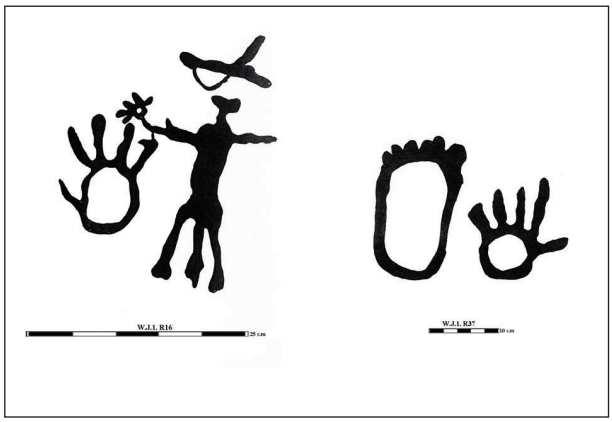

الشكل ١٤: رسوم للكف والقدم من وادي الجفر

الشكل ١٥: صخرة تضم مجموعة من رسوم الكف والقدم من وادي الجفر.

عمان، وذلك من حيث استعراض التشابه في نوع الزخارف المنفذة، ومقارنة التأريخ النسبي لمواقع الفن الصخري الأخرى، اعتماداً على دراسة اللقى المؤرخة والتي عثر عليها في مواقع أخرى وتحمل عناصر تشابه مع الزخارف المنفذة على الصخور (مثال: رسمة الحصان). لا توجد هناك إحصائية دقيقة لعدد مواقع الفن الصخري المعروفة والمسجلة في شبه الجزيرة العمانية، ولكن بناء على قاعدة بيانات أنشئت في الفترة ما بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٧ فتبين أن عددها يصل إلى نحو ١٢٣ موقعاً (al-Jahwari 2008: 299, Table 59)، تقع غالبيتها في مناطق الأودية الداخلية من جبال الحجر الشرقي والغربي، ومنها وادي الجفر، والتي تتهيأ فيها الأماكن التي تساعد على تنفيذ الرسوم الصخرية. غالبية هذه المواقع لم تقدم دليلاً يساعد على تأريخ الرسوم الصخرية، إلا أن هناك بعض المواقع القريبة

منها والتي ضمت أنواعاً أخرى مختلفة من الدليل الأثري القابل للتأريخ، مثل الأدوات والتي يمكن وبشكل غير حاسم استخدامها في إعطاء تأريخ نسبي مقارن- غير دقيق- للرسوم الصخرية القريبة منها.

غير أن عدداً كبيراً من الباحثين تناول رسوم اليد والقدم البشرية بالفحص والتدقيق وفي اتجاهات متعددة وجوانب متباينة، كان للجانب الجمالي والفني والشعائر والفطنة في رمزية القدم واليد حضور في جميع هذه المساعي والجهود البحثية. وفي رأينا، عمدة هذه الجهود ما ذهب إليه الباحث أشرتي (Achrati 2008) في بحثه المفصل لرسوم اليد والقدم البشريتين، ومتناولاً في ذلك أعمال الباحث فرانك ولسن (Wilson 1998). وفي الموضوع نفسه، فقد ذهب ولسن (Wilson ibid.) إلى أن استعمال اليد البشرية أسهمت في تشكيل العقل واللغة والثقافة؛ فبداية هذا الاسهام، كان في مقدرة الإنسان على تحريك إبهامه، وهذا أمر تميز به الإنسان عن جميع الكائنات الأخرى. وحركة الإبهام في اليد البشرية يسّرت صناعة الأدوات في العصر الحجري القديم. ثم تبع ذلك أن الحركة المرنة التي تقوم بها يد الإنسان، أصبحت وسيلة للإيماء، كوسيلة رمزية لبيان الأشياء وإيضاحها، ثم التوجيه والمخاطبة بواسطة حركة اليد. وكان أوج هذا الطرح، وخلاصته، أن طرح الباحث ولسن (cf Wilson 1998: 161& 287-288)، مقولته أن دور اليد يستند على "مجمع اليد والعقل"،"hand–brain complex" أي تقدم تطور العقل واليد، والتي بدورها أدت في إسهامها في الدفع باللغة والثقافة. ومن ناحية أخرى، تجد أهمية رمزية اليد في المجتمعات الإنسانية أهمية عظيمة، الأمر الذي دفع أن يسوق الفيلسوف هيدجر (Heidegger 1987:16) ويدعمه الباحث ماك نيل (McNeill 1993) أهمية اليد البشرية بالنسبة للإنسان بقولهما إن «الأصل في التفكير هو اليد وليس المفكر».

ناقش الباحث أشرتي (Achrati 2008: 23-33) وبشكل موسع اليد والقدم في رؤية المجتمعات المختلفة وثقافاتها، وذلك في سعيه لتسليط الضوء على الرسوم الصخرية للكف والقدم البشريتين ومعانيهما. ونلقي نظرة متفحصة في ما قد يخدم مسعانا في إبراز الأهمية الرمزية لليد والقدم في ثقافات بعض المجتمعات. فنجد عند قبائل البربر في شمالي إفريقيا، كلمة «رقاز» "argaz" تعني رِجل، وإن الكلمة مشتقة من الأصل كلمة "رقز" "argz" التي تعني المشي (Dallet 1982). أما في اللغة العربية، فهناك كلمة رجُل (man) ورِجل (foot)، والكلمتان أصلهما واحد (اتصال شخصي مع د. محمد المحروقي، قسم اللغة العربية، جامعة السلطان قابوس). وفي إفريقيا وتحديداً في منطقة غرب تشاد، نجد أن الشادية والكوشية لهما الكلمات نفسها، أي: "رِجل" "ورجُـل" مشتقتان من مصدر لغوي واحد (Cohen1994: 333; Orel and Stolbova 1995: 2113)..

ولا شك في أن لليد مكانة متميزة في تطوير وسائل الإنسان. فلليد أسلوب مخاطبة وتواصل فعال، لا يحتاج إلى لغة أو أبجدية. فاليد وسيلة لتبادل السلام والتحية. كما يستطيع المرء دعوة شخص آخر بالاقتراب أو الابتعاد أو الوقوف في مكانة دون تقدم أو تأخر. وباليد يستطيع المرء أمر شخص بالسكوت والصمت، وكذلك يستطيع طلب الانتظار من ذلك الشخص. واليد البشرية يمكن أن تصدر اصواتاً متعددة. وفوق هذا وذاك اليد وسيلة للتعبير عن الذم والتهجين، أو الثناء في الخير والشر. وعليه فاليد أداة فعالة، تستطيع أن تعطي بها الأمر بالبدء في شيءٍ ما، أو إيقافه. واليد وسيلة للتعبير استحساناً أو استنكاراً. كما هي وسيلة للاستجداء عند المسكين الذي يسأل. واليد البشرية إمكانياتها كثيرة ومستعملة يومياً، دون أن يشعر بها الإنسان أو يحسب عدد الإيماءات أو حركات المخاطبة والإشارة التي يتواصل بها مع غيره يومياً.

أما القدم، فهو رمزية الحركة والحيوية عند الإنسان. كذلك نرجح أن للقدم رمزية تعبر عن الخير والفأل الطيب، أو الضر الغير مقصود به. ففي سهول السودان الممتدة، نجد أن المجتمعات الرعوية العربية المختلفة، تشير إلى قيمة معنوية رمزيتها القدم التي يجلب صاحبها الخير معه، وفي قدومه. وحال خطاب هذه المجموعات الرعوية في هذا الأمر تعابير متعددة، نذكر منها: " فلان قدم خير" و" فلان أو فلانه قدمه أو قدمها خير" وفي وصف ومدح شخصٌ باستحسان، يقال له: " يا قدم الخير". كما جرى التقليد في مراسم الزواج في وسط القبائل العربية في السودان،

أن تقوم والدة العريس، بسكب ماء بارد عل قدم عروس ابنها، حين تدخل في المرة الأولى منزل العريس. وسكب الماء البارد، هنا تيمناً، أن يكون قدم العروس خيراً وبركة على زوجها.

ولا بد أن الإنسان قد اكتشف ما يمكن أن يفعله باليد منذ زمن بعيد. كما أدرك القيمة الرمزية والمعنوية للقدم واليد في ثقافة ومعتقدات مجتمعه. وهذا يعني أن هذه ثقافة عامة ومنتشرة على امتداد جغرافي واسع. كما نرجّح أن رسم اليد والقدم وتصويرهما على السطوح الصخرية لغة إشاره، وإشارة بيّنة، معروفة لمن يعرف هذه الثقافة.

الإقليم

هنالك اتفاق عام على مفهوم الإقليم Territory في علم البيئة، يُعّرِفه على أنه منطقة يحتلها كائن حي أو مجموعة (الفقاريات)، يحدد فيها هذه المنطقة بوسائل مختلفة، وذلك من أجل التناسل والمأوى للصغار والطعام. ويعمل هذا الكائن على الدفاع عن هذه المنطقة (Odum 1980:209 & 2010). أما الإقليمية، فهي نتاج لسلوك بعض الكائنات في النظام البيئي، وبخاصة تلك التي تعتمد نظام الإقليم في حياتها. وهي في جوهرها نتاج سلوكي لتحقيق بقاء هذه الكائنات في بيئتها. أما السلوك الإقليمي Territorial behaviour الذي يعمل على تحديد الإقليم أو ذلك الحيز المكاني والذي يحدد بوسائل عديدة، نجده عند الإنسان والحيوان معاً؛ فهو ليس حكراً على الإنسان وحده، بل هناك العديد من الحيوانات التي لا تستطيع العيش، دون حدود تحددها مساحة وحيز لنشاطها الغذائي والتناسلي. وما يهمنا هنا تعريف الإقليمية عند الإنسان سلوكاً واعتقاداً وقيمةً. والإقليمية في السلوك الإنساني تعمل أساساً على أن تحدث سيطرة على منطقةٍ ما أو حيز جغرافي، بحيث يصبح لهذا الحيز الجغرافي اعتبار مُتعارف عليه، وتكون حدوده معروفة ومحددة عند الإنسان وغيره من الناس.

وهناك إجماع على تعريف السلوك الإقليمي، تداوله العديد من الباحثين والدارسين لموضوع الإقليمية Territoriality تعريفاً ومدلولاً لمفهومها، ومن منطلقات متباينة ومتعددة. فنجد أن المنظور البيئي The ecological perspective، والخاص بالسلوك الإقليمي، له سبق في تشخيص هذا السلوك من خلال التفاعل البيئي بين الكائنات المختلفة في النظم البيئية، فذهب في تشخيصه الباحث أودم (Odum 1980:210)، الذي يرى أن في معظم السلوك الإقليمي، القتال دفاعاً عن الإقليم يظل في حده الأدنى. فصاحب الإقليم يفعل ذلك، بما يطلق من أصوات أو مظاهر تمنع أي متطفل من دخول هذا الإقليم. وما نريد أن نضيفه هنا أن المظاهر التي يفعلها الكائن دفاعاً عن إقليمه، هي إعلان لأي متطفل عن حدود وملكية هذا الإقليم. فينسحب الكائن المتطفل تفادياً للقتال مع صاحب الإقليم.

وقد تناولت بعض الدراسات موضوع الإقليمية من منظور خاص بالفرد، ومرتبط بالسلوك الإنساني للفرد في محيط الأسرة والجماعة والمجتمع. وهذا السلوك المرتبط بالإقليمية تحفزه دوافع نفسية بحتة، ورغبة ذاتية. فقد قال الباحث ساك (Sack 1986: 1-2) الذي له دراسات متعمقة في الإقليمية، إن أفضل تعريف للإقليمية هو أنها إستراتيجية خاصة للتأثير والسيطرة على الموارد الطبيعية والناس، وذلك بالسيطرة على منطقة أو حيز جغرافي بعينه. وأضاف الباحث ساك أن الإقليمية من منظور جغرافي، يمكن تعريفها على أنها سلوك حيزي أو سلوك مكاني spacialbehaviour. والمعنى هنا أن السلوك الحيزي أو المكاني للإنسان ناتج من تأثير السلطة والقوة. والإقليمية هنا الحيز الذي يأخذ شكل القوة والسلطة (Sack 1986:26). وانطلاقاً من هذا الفهم، عرف الباحث ساك (Sack 1986: 19-20) الإقليمية على أنها محاولة فرد أو جماعة للتأثير أو السيطرة على أناس أو ظاهرة أو علاقات، وذلك بواسطة تحديد وتأكيد السيطرة الكاملة على منطقة أو حيز جغرافي. وعليه، فالإقليمية تعمل لتأسيس درجة من الوصول والاقتراب من الناس والأشياء والعلاقات في هذا الحيز الجغرافي. (Sack ibid) والإقليم يختلف عن أي مكان أخر. فالأقاليم عند الإنسان والحيوان تتطلب جهداً دائماً ومستمراً لتأسيسها والمحافظة عليها. ويؤكد الباحث ساك (Sack ibid) أن الغرض من الإقليم هو احتواء أناس وأشياء، واستقصاء آخرين. وعليه هنالك أقاليم أكثر إقليمية من

غيرها.

وهنالك تناولاً مغايراً في مضمونه لموضوع الإقليمية ومفهومها، وفلسفتها. فالباحث كنك على ضرب المثال (King 2001 http://www.huna.org/html/territor.html) رجّح أننا نستطيع أن نقدر تعريفاً للإقليمية على النحو الآتي:

أولاً: الإقليمية البدنية أو المادية physical territory: وهى معنية في الدرجة الأولى بالجسد وحاجته الطبيعية، والممتلكات الشخصية. وهنا تظهر درجة أخرى من الإقليمية في حياة الفرد وخصوصيته.

ثانياً: الإقليمية الاجتماعية social territory: وهى تشمل الأسرة، المقربين، العشيرة، القبيلة، الأنداد، ..إلخ. وهذه درجة أكثر شمولية، وفيها الهوية الخاصة بالجماعة وثقافتهم. وهذه الإقليمية، تأطير لثقافة الجماعة وهويتها.

ثالثاً: الإقليمية النفسية psychic territory: وهى تخص الأفكار، والآراء، والنظريات، والفلسفات، والأحلام، والذكريات، والإحساس بالوقت. فالإحساس بالحيز المكاني والزمني، يعبر عنه بتقدير المسافات المترية على الأرض، وطولها. أما الزمن وقيمته عند أهل هذا الحيز، فإنه يقدر بقيمته وليس بالساعة الميكانيكية (Time by value and not by clock).

وعلى الرغم من أن الإقليمية تبدو في ظاهرها مفهوماً جغرافياً، إلا أنها بين مجتمعات الصيد وجمع الثمار والمجتمعات الرعوية، إستراتيجية للدفاع وللأمن والسيطرة على الموارد الطبيعية، وتثبيت السيادة على ذلك الحيز المكاني والجغرافي (ElMahi 2011:89). ففي المجتمعات الرعوية في إقليم ظفار والصحراء في عمان، ينظر إلى الإقليم والمرعى على أنه ملك خاص. ويسمى الإقليم "حرم"، وتعرف حدوده، وتميز بوجود تلال أو صخور أو وديان بعينها، كعلامة لحدود هذا الإقليم (ElMahi 2011: 90). ومن ناحية أخرى، أشار الباحث ساك (Sack 1986:2o) إلى أن حدود الإقليم ووسائل تحديدها، أمر راسخ، وغير قابل للتغير.

ونخلص في شأن الإقليمية، إلى أن المجتمعات الإنسانية تضع قيمة عالية للإقليم أو الحيز المكاني والجغرافي، وبخاصة في البيئات التي تشحّ فيها الموارد الطبيعية. فالمجتمعات الرعوية في البيئات الجافة وشبه الصحراوية تذود بكل ما تملك عن ذلك الحيز المكاني المعروف بالإقليم، ويعرف محلياً في الجزيرة العربية "بالحرم" أو "الحِمى".

الدلالة والمعنى

ماذا تعني رسوم وادي جفر؟ وما هي دلالات ومعانى هذه الرسوم التي تم تصنيفها في (الجدول ١)؟

ولكن قبل أن نعمل على تفسير هذا التواتر الملحوظ، علينا أن نجيب على سؤال رئيس، وهو هل وادي الجفر فيه ما يؤهله ليكون إقليماً؟

وقبل أن نرع في الإجابة على هذا السؤال، يتطلب منا الأمر أن ننظر في تاريخ موقع وادي الجفر في هذا الجزء من عمان، استنادا إلى الشواهد الأثرية في وادي الجفر وحوله (قبور حفيت الركامية، وقطع الفخار الإسلامية). وبناء على هذا، فإن الموقع مرشح أن يكون تاريخه ما بين نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الفترة الإسلامية. ولكن بالنظر للرسوم الصخرية في الوادي، يتضح بعدٌ آخر تجمله هذه الرسوم، ويدلل على تاريخ الموقع بعيداً عن فترة حفيت في الألف الثالث قبل الميلاد. فوجود رسوم للحصان في أوضاع متعددة (الأشكال ١٦، ١٧، ١٨)، لها دلالاتها في التأريخ لهذه الرسوم، وترجح تأريخاً لاحقاً لها عن الألف الثالث قبل الميلاد؛. فالدليل الأثري المتاح حاليا للحصان في عمان (الجدول ٢) يعود إلى فترة سمد (التي يؤرخ لها في حوالي ٤٠٠ قبل الميلاد – ٦٣٠ ميلادي)[٢]والتي يمثل الجزء الأول منها ما يطلق عليه العصر الحديدي المتأخر (٤٠٠ –٠ قبل الميلاد) (Yule and Weisgerber 1988:33,40).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك جدلاً حول الفترة التي استخدم فيها الحصان، ليس فقط في عمان وحدها بل في شبه الجزيرة العربية بشكل عام. يرى دانيال بوتس (Potts 1988) أن هناك الكثير من الإشارات لاستخدام الخيول بواسطة القبائل في الجزيرة العربية في القرون الأربعة

الأخيرة قبل الإسلام، وعادة ما تشير إلى استخدامها للركوب. وعادة ما نرى في كثير من زخرفة الحصان والفارس في شبه الجزيرة العمانية، على أنها مترافقة مع رسومات لبعض الأسلحة، وبخاصة الخناجر والرماح أو الحراب (Preston 1976). وهذا النوع من الزخرفة المترافقة مع الأسلحة وجد أيضا في الرسوم الصخرية في وادي الجفر. وتعتقد ميشيل زيولكوسكي (Ziolkowski 1998: 69) أن استخدام الرماح بواسطة الفرسان كان موجوداً منذ القرن الأول الميلادي، على الأقل، وحتى القرن العشرين الميلادي. ويعتقد ماكدونالد (Macdonald 1996: 73) أن استخدام الحصان وربما تناسله في شمالي وشرقي الجزيرة العربية كان في حوالي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، وهذا الرأي يدعم الدليل الأثري المكتشف في بعض المواقع في شبه الجزيرة العمانية، كالدور ومليحة وسمد (انظر الجدول ٢، والنقاش في الأسفل).

إذاً، نحن نتعامل مع رسوم صخرية، ربما يعود تاريخها للفترة الممتدة من العصر الحديدي المتأخر وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة في عمان. والمعروف عن المناخ في تللك الفترة، أنه أشبه بالمناخ الحالي. فقد أضحى جلياً أن المناخ في شرقي عمان أصبح في أواخر عصر الهولوسين، يتميز بأمطار شتوية، وغطاء نباتياً تسود فيه أشجار الغاف Prosopis cineraria، ما يدلل على هذا التحول المناخي البيئي الذي يوصف أنه جاف وشبه صحراوي (Leizine et al. 2002:229). ودراسة أخرى في المجال نفسه، تؤكد على هذا التغير، وترسم ملامح مناخ جاف في منطقة بحر العرب في أواخر عصر الهولوسين (Sirocok et al. 1993 and Van Campo 1983). وعليه، يكون من سكنوا وادي الجفر، وكشف المسح الأثري عن بقايا منازلهم ورسومهم الصخرية، قد عاصروا مناخاً جافاً وبيئة شبه صحراوية. وفي ظل هذا المناخ الجاف، لابد أن سكان وادي الجفر قد اتخذوا نوعاً من النظام الرعوي. والنظم الرعوية المعروفة بين المجتمعات الرعوية في عمان، إما أن تكون حركتها دائرية أو موسمية. ونعود لسؤالنا الرئيس مع بعض التعديل فيه، ليكون على النحو الآتي: هل وادي الجفر فيه ما يؤهله ليكون إقليماً، في ظل مناخ وغطاء نباتياً كالذي

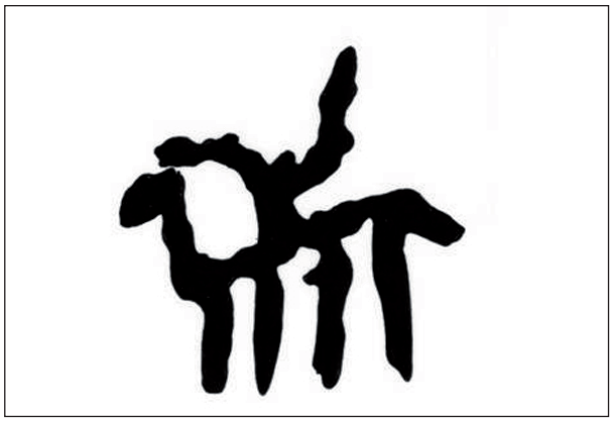

الشكل ١٦: رسم للحصان من وادي الجفر.

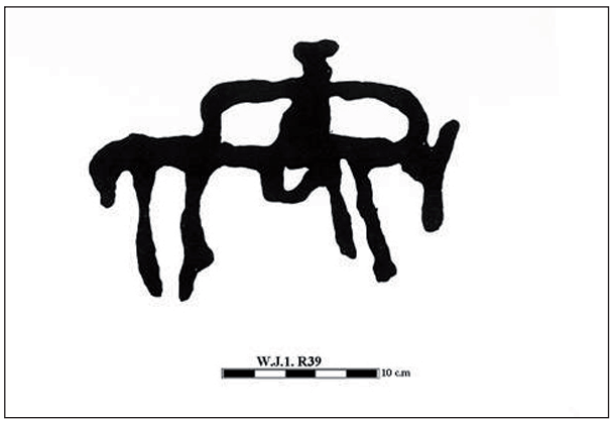

الشكل ١٧: رسم للحصان من وادي الجفر.

الشكل ١٨: صخرة تضم رسمه لحصان وفارس من وادي الجفر.

ساد في ذلك الزمان؟ والإجابة تكون بالإيجاب استناداً إلى متطلبات المجتمع الرعوي والمصادر الطبيعية المتوافرة في الوادي. فكما ذكرنا في متن البحث، أن إمكانات الأودية وتفرعاتها أسست لنظم بيئية للنبات والحيوان، وجذبت

الإنسان للاستقرار فيها واستغلال مواردها المختلفة. وعليه، فوادي جفر، يعد بكل المقاييس مصدراً غنياً من حيث الماء والحيوانات والنباتات البرية، في بيئة عامة توصف بالجفاف وشح الموارد. وهذه المواصفات تؤهل وادي الجفر أن يكون إقليماً، يذود عنه أصحابه ويحرصوا على صونه وبسط سيادتهم القبلية عليه. وهنا لابد من أن نشير إلى أن النظم الاقتصادية التي تسود في مثل هذه البيئات الجافة في الجزيرة العربية، تأخذ من الرعي بأنواعه منهجاً في عيشها وحياتها. كما لا يفوت علينا أن مفهوم الإقليم أو الحرم أو الحمى، نجده فقط في الجزيرة العربية، خلافاً لما هو معمول به في شرقي افريقيا بين المجتمعات الرعوية. فوفرة الموارد الطبيعية، وخاصة الكلأ والماء في البيئات الإفريقية، حالت دون ظهور مفهوم وممارسة تقاليد الإقليم أو الحمى بين القبائل الرعوية (ElMahi 2011: 89-92). إذاً شح الموارد الطبيعية، وتمركزها في مواضع جغرافية بعينها، أضحى مبرراً قوياً لتبني نظام حيازة مناطق بعينها، لتسمى إقليماً أو حمىً أو حرماً، حصراً لمواردها الطبيعية على المجموعة القبلية. وكما هو معروف، فإن احترام الحمى والحرم، وصونه بين المجتمعات الرعوية في عموم الجزيرة العربية، واجب فيه فرض وإلزام للداني والقاصي (Al-Rashid 1984; Al-Samhudi1995; ElMahi 2011).

ومما من لا شك فيه أن بسط السيادة على هذا الحيز الجغرافي، يتطلب اجراءات عديدة لحفظ هذا الإقليم وصونه ملكاً وحكراً لسكان وادي الجفر. ومن الإجراءات التي تحقق ذلك، الإعلان والإشهار لكل من يقترب من هذا الوادي. فوجود وادي مثل الجفر، له موارد طبيعية كتلك التي أشرنا أليها سابقاً في صلب هذا البحث، عرضه للتعدي والتغول فيه، خاصة إذا ما أخذنا بالنظر نوع المناخ الجاف وموارده في عمان إبان العصر الحديدي المتأخر. وهنا، الحديث عن الرسوم الصخرية في هذا الوادي،مدلولاتها والغرض منها.

أبرز سمات الرسوم الصخرية في وادي الجفر، وأكثرها تكراراً، هي رسوم القدم واليد والإنسان، والرجل الذي يمتطي الخيل، كما وضحه الشكل (١١). وأثبت تصنيف وتحليل هذه الأشكال أن أكثر الرسوم تكرراً وتواتراً على امتداد وادي الجفر، يمكن تلخيصها في الإحصائية الآتية:

القدم: ١٢٥ رسما، ما يعادل ٤٤٪ من مجمل الرسوم في وادي الجفر.

اليد: ٦١ رسما، ما يعادل ٢١٪ من مجمل الرسوم في وادي الجفر.

إنسان يمتطي حصاناً: ٣٨ رسما، ما يعادل ١٣٪ من مجمل الرسوم في وادي الجفر.

إنسان: ١٣ رسما، ما يعادل ٤٪ من مجمل الرسوم في وادي الجفر.

هذه الإحصائية تدل على أن هذه الأشكال تحتل حيزا كبيراً من رسوم وادي الجفر. كما أنها أبرز ما تلتقطه عين الناظر في هذه الرسوم. ولا بد أن تواترها على طوال الوادي له دلالة قصد الفنان إبرازها والاعلان عنها بشكل جليّ. والغرض الرئيس من رسوم اليد والقدم، هو إثبات أن هذا الوادي وما فيه من موارد "حرم"وإقليم لأصحابه. فكما أشرنا في صلب البحث عن الأهمية الرمزية لليد والقدم في ثقافات المجتمعات الإنسانية. تواتر هذه الرسوم لهذه الأشكال في شكل منعزل عن بعضها بعضاً، يرجّح أنها علامات وإثباتات لخصوصية هذه المنطقة وملكيتها. فجميع القبائل الرعوية في الجزيرة العربية، توسم حيواناتها الغالية والمهمة في حياتها. والوسم هو علامة قبلية ترمز إلى ملكية الشيء، بحيث أنه لو عثر أي شخص على هذه الملكية لن يقوم بالتعدي عليها. وعادة ما تتضمن الوسوم تصاميم هندسية بسيطة، منها على سبيل المثال:تهشيرات، نقاط، دوائر، مربعات، وخطوط متموجة ورأسية وأفقية ومستقيمة ونجوم وغيرها (خان ٢٠٠٠). وقد أختُلف حول بدايات استخدام الوسوم لدى القبائل العربية؛ فمن الباحثين من يرى أنها تعود إلى فترة بدايات العصر الحديدي وتستمر إلى العصر الحديث (Zarins 1992)، في حين يرى آخرون (Anati 1984) أنها ربما بدأت خلال العصور الإسلامية، وتحديداً في القرنين السابع والثامن. وقد درجت المجموعات الرعوية على أن تقوم بوسم الإبل، ولا توسم الماعز أو الضأن أو الحمير. فقيمة الحيوان ومكانته في النظام الرعوي هي التي تؤهله للوسم (الماحي: قيد النشر). وعليه، فإن القيمة الفعلية لهذا الوادي، وما فيه من موارد طبيعية، ما انفكت

أسباباً للعيش، جعلت وضع هذه الرسوم الرمزية وتنفيذها، أمراً عقلانياً وضرورياً في ظل ظروف، ربما كانت تسودها المنافسة على المرعى وموارد المياه في ذلك الزمان؛ فالغرض الذي يتوقع أن تحققه هذه الرسوم الصخرية على امتداد الوادي، هو الحماية، بالإعلان والإشهار بملكية وخصوصية هذا الإقليم.

وفي جانب آخر من الرسوم الصخرية، رسوم لإنسان يمتطي حصاناً بنسبة ٣٨٪ من مجمل الرسوم. ونرجح هنا أن لهذه الرسوم دلالة خاصة بالحصان، ورسم الفارس يمتطي الحصان. وهذه الدلالة يمكن تشخيصها في الآتي:

أولاً: الحصان لم يكتمل توثيق تاريخه بعد في عمان. فتاريخ الحصان المستأنس في عمان غير معروف بعد. والأدلة الأثرية المعروفة في السجل الأثري قليلة، ولا تسمح لنا بإعادة تركيب تاريخ هذا الحيوان في حياة مجتمعات ما قبل التاريخ. أقدم الأدلة المتاحة حاليا، تأتي من شمالي عمان؛ فقد كشفت الحفريات الأثرية في أحد مقابر فترة سمد شمالي عمان على شكل من البرونز لرأس حصان وأرجله الأمامية (Yule 2001a: Grave S2020, Plate.240:7, 557:d). وهذا الشكل مجوف، ما يرجّح أنه جزء من كأس. كما عثر في سمد على طبق مرسوم عليه فارس يحمل رمحاً قصيراً، يمتطي حصاناً، يصطاد أسداً، تم تأريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد (Potts 1990: 270). أما في موقع مليحة بالشارقة قد عثر في حفريات عام ١٩٩٤ على عدد من الأدلة الأثرية، التي تشير إلى استخدام الحصان في الفترة الواقعة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي (Uerpmann 1999: 102-118, fig.2; Jasim 1999: 69-101, figs. 10, 16, 17 & 18)، ومنها هيكلان عظميان لحصانين أحدهما في القبر ٤ والآخر في القبر ٢٢. وقد دفن الحصان في القبر الأول ومعه لجام مع كامل عدته المصنوعة من مكونات ذهبية مزينة، تتضمن قرصين كبيرين وثمانية أقراص صغيرة، مع خواتم برونزية تم ربطها بالأقراص الذهبية بوساطة عروات صغيرة وضعت في خلفية كل قرص، إضافة إلى ممسك أسنان حديدياً يتكون من جزءين متصلين ببعضهما، وتم وضعهما في فم الحصان. وتم تأريخ هذه القبور إلى الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي (Jasim 1999: 92). كما عثر في أحد القبور في مليحة على طبق برونزي وعليه رسم لفارس يمتطي حصاناً وبيده رمح طويل يرمي به خصماً يمشي على قدميه (Mouton 1994; Boucharlat & Potts 1998: 188, fig. 3)، حيث تم تأريخه إلى الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن الأول قبل الميلاد (Mouton 1999: 170-171). وأخيراً، قدمت التنقيبات في موقع مليحة إناءً فخارياً يحمل رسومات ترمز إلى الفارس والحصان، وأرخ الإناء إلى الفترة من ٢٥٠ إلى ١٥٠ ق.م. (Potts 1998: fig. 3).

أما في موقع الدور بإمارة أم القيوين فقد كشفت الحفريات عن عدد من التماثيل الطينية المشكّلة، إما على هيئة حصان منفرد أو على هيئة حصان وفارس (Daems 2004a: figs. 3-5, 8, 10)، إضافة إلى تمثال مصنوع من البرونز على هيئة حصان ويمتطيه فارس (Haerinck 1991: 47, figs. 20:1 & 39)، وعملة معدنية نقش عليها حصان (Haerinck 1999: 127). وتم تأريخ هذه القطع المكتشفة إلى الفترة الممتدة ما بين القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثاني الميلادي. تمثال آخر لحصان من البرونز ومجوف عثر عليه في قبر من سمائل (القبر Bar1) (Yule 2001a: Plate 534: 2, 557: c;). وعثر على طبقين من البرونز أحدهما في القبر السابق (Yule 2001a: Plate 556; Yule 2001b: Bar1 fig. 16)، والآخر من موقع الفويدة بعبري من القبر Fu09 (Yule 2001: figs.5,10,13:7).

وعليه، واستناداً إلى الأدلة الأثرية المتاحة حالياً، يبدو أن الحصان المستأنس قد دخل عمان، واستخدمه الإنسان في فترة العصر الحديدي المتأخر، أو قبلها بفترة قليلة؛ فالحصان بأدوات ركوبه قد وفد إلى عمان من الشرق، من أنحاء بلاد فارس وبلاد الرافدين. وبرغم ما يشير إليه الدليل الأثري المتاح حالياً، فقد أبحر الإنسان متاجراً في العصر البرونزي (فترة ماجان) من عمان إلى بلاد فارس والرافدين والهند. وهذا أمر يجب أخذه في الحسبان، في تناول تاريخ الحصان المستأنس في عمان.

وهكذا، ترجح رسوم الحصان المتكررة في وادي الجفر، تاريخ الموقع لحوالي العصر الحديدي المتأخر. ومن هنا،

الموقع	المنطقة	الدليل	التأريخ	المصدر
مليحة	الشارقة	هيكلان عظميان لحصانين (القبرين ٤ و٢٢) عدة كاملة لرأس حصان مصنوعة من مكونات ذهبية مزينة تتضمن قرصين كبيرين وثمانية أقراص صغيرة، مع خواتم برونزية، ولجام مع ممسك للأسنان حديدي. طبق برونزي من قبر من وعليه رسم لفارس مسلح يمتطي حصان وبيده رمح طويل،ويرمي برمح خصماً يمشي على قدمه إناء فخاري يحمل رسومات توازي زخرفة الفارس والحصان	ما بين القرن ٣ ق.م إلى القرن ١ م:	Uerpmann 1999: 102-118, fig. 2 Jasim 1999: 69-101, figs. 10, 16, 17 & 18 Mouton 1999: 270-271 Potts 1998: fig. 3
سمد (القبر S2020)	المضيبي	رأس حصان من البرونز مع أرجله الأمامية، مجوف طبق مرسوم عليه فارس (مع رمح قصير) وحصان يصطاد أسد	الطبق مؤرخ بالقرن ٤ ق.م	Potts 1990: 270 Yule 2001a: Grave S2020, Plate.240:7, 557:d
الدور	أم القيوين	عملة معدنية تحمل نقشاً يصور حصانا كاملاً في يد الشخص الجالس وشجرة نخيل. مجموعة من التماثيل الطينية للحصان أو الحصان وفارس تمثال برونزي لحصان وفارس	القرن ١ ق.م – القرن ٢ م	Haerinck 1992: figs. 16-17 Haerinck 1999: 127 Haerinck 1991: 47, figs. 20:1 & 39 Daems 2004a: figs.3,4,5,8,10 Daems 2004b: 97-101, figs.6,8,9
سمائل القبر ١ (Bar1)	سمائل	طبق برونزي يحول رسما لحصان تمثال لرأس حصان مع أرجله من البرونزومجوف	حوالي ٢٠٠- ٤٠٠ ميلادي	Potts 1990: 270 Yule 2001a: Plate 534: 1-2, 556, 557: c; Yule 2001b: fig.16
الفويدة (القبر Fu09)	عبري	طبق برونزي يحمل رسومات منها حصان	فترة سمد المبكرة	Yule 2001: figs.5,10,13:7,

الجدول ٢ يوضح بعض مواقع في شبه الجزيرة العمانية التي قدمت دليلاً على الحصان.

يمكن القول إننا لا نعتقد أن الحصان كان في تلك الفترة، مطية للركوب يمتلكها كل شخص، وأي شخص. فالحصان في جميع المجتمعات الإنسانية، يعد حيواناً متميزاً يجمع بين الجمال والقوة والرشاقة والنبل. كما أن رعاية الخيل، أمر يختلف عن رعاية أي حيوان آخر في النظام الاقتصادي الزراعي. وظل هذا الحيوان في جميع بقاع الأرض، رمزاً ارتبط بالملكية والنبلاء والفروسية؛ ففي أوقات السلم هو رمز للسيادة والريادة؛ وفي أوقات الحرب، هو رمز للإقدام والقوة والجبروت. وهكذا، نجح الإنسان في خلق ثقافة خاصة بهذا الحيوان، جعلته في مكانة متميزة عن بقية الدواب. وعليه فهذه الركوبة غالية ومكلفة، وتحتاج لرعاية، لا نعتقد أنها جزء من النظم الرعوية القديمة في الجزيرة العربية خلال فترات ما قبل الميلاد. بل كانت في حوزة أعداد قليلة، وبخاصة مَن لهم مكانة القيادة والملك في المجتمعات الرعوية.

ثانياً: الفارس الذي يمتطي الحصان، وقد تكرر هذا الرسم بنسبة ٣٨٪ من مجمل الرسوم. ولاشك في أن رسم رجل يمتطى حصاناً له دلالته الخاصة ورمزيته. فرسم الفارس، ما هو إلا عرض وإشهار لما تمتلكه هذه المجموعة ومقدراتها الحربية التي رسم رسمها هذه المشاهد. بمعنى آخر هذا تحذير وتنبيه لكل صاحب مأرب أو غرض تجاه هذا الإقليم أو موارده أو أهله. وهذا الأسلوب في استعمال الرموز على شكل رسم أو شكل أو علامه، تراث قديم في ثقافة الإنسان، يمتد حتى يومنا هذا. وخير دليل على ذلك جمع الرموز أشكالاً وأنواعاً التي تحيط بنا اليوم ونتعامل معها. كما أن رسم الفارس الذي يمتطي حصاناً، له دلالته عن مكانة سكان الوادي ووضعها في المنطقة. فهذا إشهارأن المجموعة التي سكنت الوادي لها مكانتها وعزها وقوتها في المنطقة وبين القبائل.

الخاتمة

لا بد من أن الظروف البيئية السائدة في شرق عمان أبان العصر الحديدي المتأخر، قد جعلت من الموارد الطبيعية منالاً صعباً وشحيحاً. ولا غرابة، إذا ما واجهت المجتمعات الرعوية التي سكنت هذه البقاع، صعوبات جمة في معاشها، ومعاش حيواناتها. وفي ظل هذا الواقع البيئي والاقتصادي، لجأت هذه المجتمعات الرعوية، إلى تقسيم الأرض بما فيها من موارد طبيعية إلى أقاليم معروفة حدودها للجميع. تكون

الملكية فيها لأهل الحيز الأوائل والمكان. وهكذا غدت هذه الحدود في عرف هذه المجتمعات الرعوية من الثوابت في الأعراف القبلية. وما يدلل على ذلك استمرار هذه السنة، وهذا العرف، ممارسة، وموضع احترام إلى يومنا هذا بين المجتمعات الرعوية التقليدية. ولا يفوتنا في هذا المقام، أن هذه المجموعات الرعوية، تعلم علم اليقين، أن نظام الحرم أو الإقليم، عمل دوماً على تفادي الصدامات بين مجموعات الرعاة وغيرهم. فشح الموارد الطبيعية دفع بتبني هذا النظام وعزز استمراريته، دفعا للاحتكاكات والتقاتل بين المجموعات الرعوية. والرسوم الصخرية في وادي الجفر، جاءت لتخدم غرضاً يصب في تحديد الوادي كإقليم بسطت عليه سيادة سكانه. ولا بد من أن هنالك حاجة، لتثبيت السيادة على هذا الإقليم وتأكيدها، وإعلان حدوده تحذيراً وتنبيهاً لملكيته وخصوصيته. وهذا الإعلان عن حدود الإقليم، بغية حصر موارده الطبيعية واحتكارها على سكان الوادي. أما الرسوم الصخرية في الوادي، فقد عملت على إبراز رمزية القيم الإنسانية والثقافية ومدلولاتها، وذلك برسم اليد والقدم، ورسوم الرجل يمتطي الحصان على امتداد وادي الجفر. وهذا توظيف للفن لتحديد الحدود والملكية والسيادة والهوية. ألم يكن بنجامين كونستانت (Constant 2003:100:19) صادقاً، حينما قال أن "الفن يحقق غاية لا تخصه"، فغاية رسوم سكان وادي الجفر،أن وظفوا الفن في تحقيق غاية لا تخص الفن.

د. ناصر سعيد الجهوري: قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس. Email: jahwari@squ.edu.om,

أ. د. علي التجاني الماحي: قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس. elmahi@squ.edu.om

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

خان، مجيد ٢٠٠٠، **الوسوم: الرموز القبلية في المملكة العربية السعودية**، ترجمة عبدالرحمن على الزهراني، وزارة المعارف: الرياض

الماحي، على التجاني (قيد النشر) الإبل اقتصاد الاتصال والتجارة: دلالات الرسوم الصخرية في ظفار، مجلة أدوماتو، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: الرياض، المملكة العربية السعودية.

الماحي، على التجاني ١٩٩٨، «قراءة في الرسومات الصخرية في ظفار»، **ظفار عبر التاريخ**، ص: ١٩-٢٩، وزارة التراث والثقافة: مسقط، سلطنة عمان.

الماحي، على التجاني ٢٠٠٢، «مدينة بات وعوامل التجوية منذ الألف الثالث ق.م»، **عبري عبر التاريخ**، ص: ٨٥-١٠٧، وزارة التراث والثقافة: مسقط، سلطنة عمان.

الماحي، على التجاني ٢٠١٠أ، «الرموز الثقافية في الرسومات الصخرية في عمان وإفريقيا: المقارنة والتشخيص»، **مجلة الدراسات العمانية**، العدد ١٦، ص ٤٣ -٥٨، وزارة التراث والثقافة: مسقط، سلطنة عمان.

الماحي، على التجاني ٢٠١٠ب، «رسوم صيد الإبل في "قرية" الفاو بالمملكة العربية السعودية: قراءة ثانية»، **مجلة أدوماتو**، العدد ٢٢ يوليو، ص: ٤٣-٥٦، مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية: الرياض، المملكة العربية السعودية.

المشرفي، سالم ناصر ٢٠١٠، اتصال شخصي، مراقب الحياة الفطرية في جعلان بني بوحسن

ثانياً: المراجع غير العربية

Abdul Nayemm, M. 1996. **The Sultanate of Oman (Prehistory and Protohistory from the most Ancient Times: c. 1,000,000 BC to 100 BC**). Hyderabad Publishers: India.

Achrati, A. 2008. «Handprints, Footprints and the Imprints of Evolution», **Rock Art Research**, 25 (1): 23-33.

Al-Jahwari, N. S. 2008. Settlement Patterns, Development and Cultural Change in Northern Oman Peninsula: A multi-tiered approach to the analysis of long-term settlement trends. Unpublished PhD. Durham University: UK.

Al-Rashid, S. A. 1984. **Al-Raband**, College of Arts, King Suad University: KSA.

Al-Samhudi, Nur al-Din Alib& al-Miseri, A. 1995. **Wafa Al-wafa bi Akhbardar Al-mustafa**. ed. M. M. Abd al-Hamid, 4 vols. 1st. edition, Cairo.

Anati, E. 1984. «The State of Research in Rock Art», **Bulletin of the Centro Camuno di Studi Preistorici**, 21: 13-56.

Boucharlat, R. & Mouton, M. 1994. «Mleiha:Physical Study and Palaeoenvironment». In: Mouton M, (ed.) **Archaeological Surveys and Excavations in the Sharjah Emirate, 1993 and 1994: A Seventh interim report**. Lyon: Maison de I'Orient.

Cohen, D. 1994. **Dictionaire des RacinesSemitiquesoua ttEsteesdans les Languessemitiques**. Peeters, Louvain-la-Neuve.

Constant, B. 2003. **Oxford Concise Dictionary of Quotations**. Oxford University Press: UK

Daems, A. 2004a. «The Terracotta Figurines from ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E.): the Human Representations», D. T. Potts (ed.) **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 15 (1): 92-104.

Daems, A. 2004b. «The Terracotta Figurines from ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E.): the Animal Representations». In: D. T. Potts (ed.) **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 15 (2): 229-239.

Dallet, J.-M. 1982. **DictionnaireKabyle-Français.Paris: Sociétéd'étudeslinguistiques and anthropologiques de France**.

ElMahi, A.T. 2000. «The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman», **New Arabian Studies**, 5: 33-46. University of Exeter, Exeter: UK.

ElMahi, A.T. 2001. «The Ostrich in the Rock Art of Oman», **Adumatu**, 3: 15-26.

ElMahi, A.T. 2011. **Traditional Goat Management in Dhofar the Desert**, Oman.Academic Publication, Sultan Qaboos University: Sultanate of Oman.

Giraud, J. 2009 «The Evolution of Settlement Patterns in the Eastern Oman from the Neolithic to the Early Bronze Age (6000–2000 BC)», **C. R. Geoscience**, xxx: 1-22. Elsevier Masson SAS.

Gunn, R. G. 2007. «The interpretation of handedness in Australian Aboriginal rock art», **Rock Art Research** 24: 199-208.

Haerinck, E. 1991. «Heading for the Straits of Hormuz, an 'Ubaid Site in the Emirate of Ajman (U.A.E.)», D. T. Potts (ed.) **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 2 (2): 84-90.

Haerinck, E. 1992. «Excavations at ed-Dur (U mm al Qaiwain, UAE). Preliminary Report on the FourthBelgian Season (1990)». In: Potts, D. T., (ed.) **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 5/3: 184-197

Haerinck, E. 1999. «Abi>el, the Ruler of Southeastern Arabia». In: Potts, D. T., (ed.) Arabian Archaeology and Epigraphy, 10/1: 124-128

Haerinck, E. 2003. «Review of Yule P. Die Gräberfelder in Samad al-Shān (Sultanat Oman): Materialienzuein erKulturgeschichte». **Orient Archäologie 4. Rahden. American Journal of Archaeology**, 107: 301-302.

Hawkins, D. F. 1987. «Primitive Rock Carving in Qatar». **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 17: 53-61.

Heidegger, M. 1987. Die Idee der Philosophie und das Weltanschauungsproblem, in: Zur Bestimmung der.